مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد 06 العدد 03 ديسمبر 2020 ص- ص:76-97

الرحْلَةُ الحجية القْورارية من خلال أنموذج قصيدة الشوق(مجهولة المؤلف)

The Authentic Guararian Journey through the Model of the Poem of Longing (anonymous author

د الفاطمي محمد(*)
قسم التاريخ – جامعة تلمسان ، (الجزائر)، elfatmimed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 29 /2017/05 تاريخ القبول: 10 /2019/06 تاريخ النشر: 27 /2020/12

الملخص

الرحلة الحجية المكتوبة أسلوب للتأريخ انتهجه مجموعة من الرحالة الذين سافروا بغرض أداء فريضة الحج، وثقوا لرحلاتهم لأغراض متعددة كالتعليم أو استرجاع الذكريات أو حتى التباهي بالمغامرات، لكن اليوم نجد فيها مادة تاريخية هامة ترشدنا لاسترجاع صفحات حية للواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي زمن الرحلة، وفي منطقة قورارة من أرض توات نجد عددا منها لم يحظ باهتمام المؤرخين رغم أهميتها، وكونها لربما المصدر الوحيد لمعلومات هامة تؤصل لحقبة نكاد لا نعرف عنها شيئاً، الرحلة ليس لها مؤلف، اخترت لها اسم رحلة الشوق من قورارة إلى مكة والمدينة، منسوجة في قالب شعري بلغة عربية قريبة من الدارجة، أسلوبها بسيط لكن مضمونها قيم، كما أنها لازالت حية في الصدور تخرج للحياة في تقليد سنوي بمناسبة موسم الحج.

الكلمات الدالة: الرحلة الحجازية؛ ركب الحج ؛ قورارة؛ توات؛ الشيخ الحاج بلقاسم؛ مصر؛ الدولة العثمانية.

Abstrac :

The Trips was written by a group of travelers who traveled to perform the Hajj and documented their Trips for various purposes such as education, recollection of memories or even bragging about adventures. Today, however, we find an important historical material that guides us to retrieve vivid pages of social, economic and cultural reality. From the land of Gourara we find a number of them did not receive the attention of historians, despite their importance, and being the only source of important information to establish, the journey has no author, I chose the name of the achouk of longing from Gourara to Mecca and Medina, In Arabic language close to the dialect, its style is simple but its content is valuable, and it is still alive in the chests come out to life in an annual tradition for the pilgrimage season

Keywords: The Trips of the Hejaz; Hajj road; Gourara; Touat; Sheikh Hajj Belkacem; Egypt; Alexandria; Hejaz; Mecca.

* المؤلف المرسل.

1. مقدمة:

تراث الأمم مزيج من التراكمات التي يحفظها الزمن، تنتج عادات وتقاليد تميز كل مجتمع عن أخر، وتعطيه شيفرته الجينية الثقافية، وتبحث شعوب اليوم عن كل ما يؤصل لماضيها، بعد إدراكها أهمية الماضي في صناعة الحاضر، فالماضي يحصن الأجيال الجديدة من تدفق أو غزو الثقافات الدخيلة التي تزرع اليأس وترسخ فكرة الغلبة والعجز، وفي منطقة صحراوية في جنوب الجزائر تدعى ثورارة قد فعل فيها الاستعمار فعلته الشنيعة بسرقة ماضيها، وتجريدها من معالمه المشرفة ليزرع بدلا عنه كتابات مضلله لمستشرقين تم توجيههم وفق الرؤية الاستعمارية المحضة، صنعوا من التافه تاريخا، وطمسوا كل مؤشرات التحضر التي دامت قرابة سبعة قرون من الزمن، حتى بات ساكن المنطقة يظنها صنيعة استعمارية، لهذا السبب كان لزاما علينا أن نبحث في رماد ما تركه أو غفل المحتل أو لربما عجز عن طمسه لأنه محتوى الصدور لا السطور، ومن ذلك قصيدة نادرة لرحلة حجية لها قصة مفعمة بالحيوية، يدفعك الفضول للبحث فيها عندما تسمعها تردد في كل مناسبة خروج أو عودة الحجيج، وبالفعل لم يخب الظن إذ كانت القصيدة كتابا مفتوحا لرحلة مجهولة المؤلف، موثقة على وريقات هشة صفراء سميتها رحلة الشوق، وفي مضامين هذا البحث سنحاول كشف الستار عنها، وإبراز مضامينها وربط أحداثها ونسأل الله التوفيق.

2. منطقة ثورارة

يطلق اسم ثورارة على المنطقة الواقعة في المجال الجغرافي من أرض توات الشاسعة بين تبلكوزة شمالا، إلى واحات تسابيت الواقعة إلى الجنوب من تيميمون بنحو 130 كم، وتضم كل من زاوية الدباغ، و تيميمون، وأولاد سعيد، وشروين، وطلمين، وأولاد عيسى، وأوقروت، والمطارفة، تمتع المنطقة بمناخ صحراوي قاسٍ، يتميز بشدة البرودة في الشتاء حيث تصل درجة الحرارة في بعض مناطقها درجة الصفر، وترتفع في الصيف بمتوسط حراري يصل 48 درجة، تتميز المنطقة

بتضاريس متمايزة، ويستحوذ العرق على نصيب وافر منها، والعرق الغربي الكبير يشرف بشكل طولي على نطاقها الجغرافي بامتداد يصل إلى أكثر من 300 كلم طولاً، يغطي زاوية الدباغ وطلمين وأجزاء من أولاد عيسى، أما الوجه التضاريسي البارز في المنطقة هو المنخفض المعروف بسبخة تيميمون الذي كان في السابق مصباً لواد امقيدن[1] الممتد من حدود منطقة المنيعة الواقعة جنوب غرداية، بينما على حدود المنطقة الشرقية نجد هضبة تدمايت التي تشكل مرتفعا ذو سطح قاحل يصعب عبوره، وتمتد إلى منطقة تيديكلت نحو أولف على مسافة تقارب 150 كلم، وبذلك نجد ڤورارة محصورة بين سدين الأول هو العرق الغربي الكبير والثاني هو هضبة تادميت، في شكل حصن طبيعي، وهو ما يجعلها ملاذا آمنا للمضطهدين والهاربين من جور السلاطين أو نيل الغزاة.

استقرت في المنطقة في منتصف القرن الرابع الهجري قبائل زناتة البربرية بعد وصول الهلاليين إلى مواطنهم في الشمال وانكسار شوكتهم، استقروا بالمنطقة ومارسوا الزراعة في مناطق العرق بين كثبان الرمال حيث يسهل الحصول على الماء لقربه من سطح الأرض ووجود الينابيع كما نحتو الفقاقير، ثم غرسوا النخيل وزرعوا المحاصيل في مناطق ضيقة متفرقة خاصة أطلق عليها أسم أڤروا، ومنها ظهر أصل التسمية من المنطوق الزناتي[2] والكلمة تعني التجمع، جمعها _ تڤوراوين أي التجمعات ومع مرور الوقت تم تداول الكلمة وحورت إلى تيڤورارين.[3]

ذكرت المنطقة في كثير من المصادر التاريخية كابن خلدون[4] وحسن الوزان[5] وابن بطوطة[6] وغيرهم، وردت بتسميات مختلفة منها تيكورارين وجرارة أو تيجورارين...ونحوها، كما جاء في وصف الحسن الوزان المعروف باسم ليون الإفريقي كلام دقيق قائلا: " تيكورارين منطقة مأهولة في صحراء نوميديا، بعيدة بنحو120 ميلاً شرق تسابيت، حيث يوجد ما يقرب من خمسين قصراً وأكثر من مئة قرية بين حدائق النخيل، وسكان هذه المنطقة أغنياء لأنهم اعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم إلى بلاد السودان، وهنا مجمع القوافل، لأن تجار بلاد البربر ينتظرون تجار بلاد السودان ثم يذهبون جميعاً. لهذه البلاد أرض كثيرة صالحة للزراعة لكن يلزم سقيها بمياه

الآبار.كان بعض اليهود الأغنياء يقيمون بتيكورارين، ثم تدخل أحد فقهاء تلمسان فأدى ذلك إلى نهب أموالهم وتقتيل معظمهم من طرف السكان[7]".

2. مشيخة ركب الحج التواتي:

كان منطلق الركب من زاوية الحاج بلقاسم، موضع تجمع الراغبين في أداء فريضة الحج. وأصبح صاحب الزاوية الشيخ الحاج بلقاسم[8] شيخ الركب وقائد فريق الحجيج. "أسندت إليه مهمة ركب الحجاج في عصره فكان يترأس وفد حجاج بيت الله الحرام عدة سنوات، يعلم المجاهدين منهم، وينفق على الفقراء ، ويواسي الضعفاء، فكان هو المرشد، والمعلم والممرض، والمساعد، ولم يشغله ذلك كله عن التدريس والتعليم، والتأليف وإصلاح ذات البين[9] ." وقد اجتمعت إحدى المرات في هذا الركب عدة شخصيات بارزة منها الشيخ الحاج أبو أمحمد الجزولي وابنه الحاج الصوفي مؤسس زاوية بدريان الذي وصفه صاحب الدرة الفاخرة بالعالم الصالح الأديب تلميذ الشيخ الحاج محمد بن أحمد المطارفي[10]، وابنه الثاني الحاج بلغيث المقبور الى جواره في زاوية تزليزة[11]، الشيخ عباد رفيق الشيخ بلقاسم وصاحب الخطبة الشهيرة و الشيوخ الحاج يدة والحاج لحسن الجنتوري الشريف صاحب جنتور، الشيخ عمر الوقروتي صاحب الزاوية المعروفة باسمة في بلدة أوقروت والتي مر بها العياشي وذكره في رحلته الشهيرة[12]، خلال فترة حياة الشيخ والتي تزامنت مع العهد العثماني هناك عدد هام من الرحلات الحجازية التي دونت من طرف أصحابها نثراً أو شعراً والكثير منها مفقود، لكن رحلة الشيخ سيدي الحاج بلقاسم حفظها الأثر نظرا للإرث الكبير الذي خلفه وارتباطها تاريخياً برقعة جغرافية شاسعة، توارث تقليد الرحلة فيها سكان المنطقة واحتفظوا بالتنظيم والمشيخة لأحفاده.

لاشك أن دوافع الرحلات الحجية كان دينياً علمياً، مبعثه الشوق إلى زيارة الحرمين و الانتهال من علوم الدين، خاصة وأن المنطقة خلال العهد العثماني خلت من جامعات ومؤسسات التعليم العالي، وهو ما دفع الكثير من الطلبة إلى ارتياد المشرق. لكن وبالمقارنة بدول أخرى كالمغرب فإن ما وصلنا من الرحلات الحجازية الجزائرية قليل[13] الجدير بالذكر أن كل الرحلات الحجية المنطلقة من قورارة بعد منتصف القرن السادس عشر ميلادي براً،

ارتبطت بشخص الشيخ سيدي الحاج بلقاسم أو أحفاده من بعده ، وفي ذلك أثر مكتوب وجدنا منه بعض الوثائق التي لا تزال محفوظة ومنها قصائد الشيخ التي تبرز بعض محطات العبور و رسائل ووثائق[14] تتعلق بركب حجاج توات أهمها قصيدة طويلة للشيخ القاضي أبي عبد الله محمد عبد الله بن الجوزي التي كتبت بتاريخ 1262هـ عرفت باسم الرحلة الحجازية[15]، ووثيقة مرسلة من ركب حجاج توات الى حاكم فزان ، ورسالة من الركب كتبت بتاريخ 28 رجب 1305هـ ووثيقة تتضمن قانون الركب ومنها سنحاول رصد المسار الذي كان يسلكه ركب حجيج توات .

3. مسار الرحلة الحجية القورارية:

على عادة أهل المنطقة مركز التجمع يكون بزاوية الحاج بلقاسم حيث يفد إليها كل من يطلب حج بيت الله الحرام من مختلف القصور ثم الانطلاق من تيميمون إلى تسابيت ثم زاوية كنته وبعدها عين صالح وأولف ثم اليزي وعبرها نحو فزان وكلما مرَّ الركب بقصر تُدق الطبول من بعيد حتى يتجهز الراغبون في الانضمام، وتجمع الإعانات والأموال من أهل القصر لدعم الركب طلباً للبركة بمساهمة طوعية بالقدر المستطاع، وللركب قانون يحكمه حيث لا يسمح لأي حاج الخروج منفردا يسبق الركب إلا إذا كان عاجزا أو امرأة في هودج، وإلا عليه غرامة مالية يدفعها مقدارها " دورو"[16] وفي حال الخصام يغرم المعتدي بنصف المبلغ وفي حالة الضرب يدفع المبلغ كاملاً وفي حال الجرح يطبق القصاص[17]، وفي فزان يتلقى الركب إعانة من القائم بأمر المدينة [18] قدرها ستمائة قرش صاغ يتسلمها شيخ الركب ويتم تسهيل مروره عبر الإقليم ثم يلتحق الركب بطرابلس[19] أي يقترب من خط الساحل لتجنب طريق الصعاليك عبر الصحراء لأنه غير آمن ثم المرور عبر مصر والدخول إليها بين فترتي الظهر والعصر ويرد في ذلك نظم متوارث مجهول المؤلف يعرف بقصيدة الشوق وهي عبارة عن رحلة حجية تصف مراحل الرحلة بالأمكنة والبلدان وكل عام في الزاوية يجتمع الحجيج وخلال توديعهم يخرج اللواء ويدق الطبل ويجتمع الناس حيث يقوم شخص معين بتقليد متوارث في عائلته يسكن قصر بني مهلال يردد قصيدة كاملة تعرف بقصيدة الشوق والتي نتطرق لها بالدراسة.

1.3 الرحلة الحجية:

الرحلات الحجية أو كما تعرف بالحجازية من أهم فنون الأدب التي يعتمدها الكثير من الباحثين في توثيق أبحاثهم لما تحتويه من زاد معرفي متنوع للتعرف على الأمم والقبائل وحتى الأفراد وإظهار خبايا عاداتها وتقاليدها وأسماء بلدانها كالطرق والمسالك المؤدية إليها، ومكانة الرحلة في الثقافة العربية مرموقة نظرا لورود أسماء ثقيلة وموثوقة في هذا النوع من الأدب ونرى في المجال ابن خلدون وابن بطوطة والعياشي والورتلاني وغيرهم .

تتنوع الأسباب التي تحث الناس على الترحال، وفي كل زمان ومكان نجد الإنسان يرتحل من مكان إلى آخر طلبا للأمن والاستقرار والرزق والعلم وكذا الحج فكثرت الرحلات وتنوعت بتنوع حوافزها ومقاصدها فنجد السياسية و الاجتماعية والاقتصادية، وبفضلها ظهر وراج أدب الرحلات الذي استهوى القراء وأمتعهم لما يعرضه من المشاهد والآثار المجهولة، والعجائب المشوقة، وما يصوره من عادات الناس وأخلاقهم ومشاعرهم فتصبح الرحلة المكتوبة بمثابة جولة حية للقارئ،[20] فيستمتع بقدر ما استمع صاحب الرحلة وتزيد قيمتها إذا كانت على قدر كاف من الوصف الدقيق وكان لديه النية والاستعداد في نقل الوقائع بالقدر الذي يجعل من يطالعها يتصور نسق ومضامين الرحلة كأنه يعيش واقع الحدث، وهذا المستوى من الرحلات نجد نموذجا له كمثال أبو سالم العياشي في رحلته الشهيرة ماء الموائد.

فالبحث التاريخي لا يمكنه الاستغناء عن الرحلات التي شكلت القول الفصل في الكثير من المواقف التي أشكلت على الباحثين، فكثيراً ما وجدنا دقة الوصف لقبيلة ما تعطينا صورة كاملة عنها، وبعض الأحيان نجد حتى أسماء أفراد من العامة، وهذا بسبب انعدام القيود على حدود الوصف حسب قدرة وإرادة الرحالة وقوة ذاكرته و سرعته في تحليل المواقف، في الجزائر قلة هم من اهتموا في وقتنا هذا بدراسة أدب الرحلات، وقد تفرد المرحوم أبو القاسم سعد الله المؤرخ الفذ صاحب الموسوعة الثقافية الفريدة في الجزائر المعروفة بتاريخ الجزائر الثقافي التي تناول فيها دراسة هذا النوع من الأدب بشقيه النظري والتطبيقي، لأن المؤرخ سعد الله كان رحالة ومؤرخ في حد ذاته، واهتمامه بأدب الرحلة أوصلنا إلى الاطلاع على الكثير من الرحلات كرحلة

الورتلاني وهو الحسين بن محمد السعيد الورتلاني المولود سنه 1125 هـ بمنطقة بني ورتلان بالجزائر استطاع أن ينهل علماً واسعاً وثقافة متنوعة من خلال المدارس والزوايا العديدة التي تعلم بها، يذكر عنه أنه كان من شيوخ الطريقة الشاذلية.

وصف الورتلاني رحلته إلى الحج بإسهاب حيث لم يترك شاردة ولا واردة إلا وصفها، لكن تبرز اهتمامات الورتلاني كثيراً من خلال تركيزيه على الملل والنحل، إذ كان مالكي المذهب بالإضافة إلى منهجه الطرقي ولم ينفك عن البحث في الأنساب وكرامات الصلاَّح والأولياء، نذكر أيضاً الرحلة المنظومة في الشعر الفصيح الملحون لسعيد المنداسي في قصيدة الشهيرة المعروفة ب "العقيقة "[21] التي نظمها سنة 1677 م 1088هـ في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ووصف البقاع المقدسة في نحو303 بيت أحيطت باهتمام بالغ من طرف الباحثين حتى أنها ترجمت للفرنسية، وعلى شاكلة ما فعله المنداسي كذلك فعل ابن مسايب[22] وغيرهم، الملفت للانتباه هو ما توصل له الدكتور أبو القاسم سعد الله باكتشاف حالة الشعر في الجزائر خلال العهد العثماني حيث وصفه بالمزدهر، والمتنوع بين ألوان الدين والسياسة والاجتماعيات والذات، لكن الغريب هو قلَّة الأثر المدون من هذا الرصيد الذي اختفى ولم يبق منه إلا بعض المقاطع القليلة، ويقول إن ما وصلنا بواسطته هو قليل من كثير قد ضاع [23].

4."الشُوقْ" رحلة حجية من ڤورارة إلى أرض الحرمين:

في تراث منطقة ڤورارة وصلت إلينا مخطوطات تحوي رحلات حجازية عديدة في شكل قصائد شعرية احتوت مادة دسمة، تبرز أهميتها في اختزال فترة زمنية حافلة في تاريخ المنطقة، اخترت منها رحلة حجازية باللسان العامي القريب من الفصيح مجهولة المؤلف، هذا النوع من الشعر معروف لدى صوفيه المغرب خلال القرنين 7 و 8 هجري حيث أصبحت الأشعار الصوفية أدبا شعبياً يتناقله العامة من الناس ويستدلون به، لتصبح إرثاً جماعياً يتجاوز تجربة الشوق[24].

تتوفر القصيدة على خصائص الأدب الشعبي[25] العامي فلغتها دارجة بسيطة محفوظة في الصدور مجهولة المؤلف متداولة بين العامة إلى يومنا، القصيدة تحت عنوان " الشُوق " بضم

الشين من الكلمة العربية الشوق بفتح الشين ومنه اشتاق ، يشتاق ، شوقاً ، في المعنى العامي المرتبط بالعادات الصوفية في المنطقة بمجرد سماع الكلمة " شُوقْ شُوقْ " وهو طلب موجه للحضور لترديد الجمل الآتية وتكرارها ثلاث مرات بعدما يبدأ بقوله : العَاشِقِين فِي النَبِي كَثْرُوا بَالصَّلاَة عَليه.....تردد الجموع الحاضرة :الصَّلاَة وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَي يَا رَسُولَ الله، الصَّلاَة وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَي يَا حَبِيبَ الله، الصَّلاَة وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا صَاحِبَ الشَّفَاعَةِ العُظْمَى يَا رَسُولَ الله .

تنسب القصيدة لدى عامة الناس للشيخ الحاج بلقاسم الجوراري[26] صاحب ركب الحج، وفي كل مناسبة خروج أو عودة الحجاج تلقى على مسامع الجموع المودعة أو المرحبة، وهي عادة قائمة إلى يومنا هذا، وتتوارث عائلة [27]من قصر بني مهلال[28] أمر الإلقاء بحمل الراية البيضاء المعروفة براية الشيخ، على نفس العادة التي كانت قائمة لما كان الحجاج يسافرون براً حاملين الراية وتخرج الجموع لتوديعهم، وتقديم المعونة إليهم، ولازالت تقدم إلى يومنا هذا بشكل رمزي، تؤدى القصيدة بلحن خاص يستمع له الجميع ينشدها شخص معين ويفتتحها بقوله:

بِسْمِ الله ابْدِيتُ المِلكِ الفَـتَّاحْ رَبِّي احْنِينْ ارْحِيـمْ لاَغِيرُو فَتَّـــــاحْ
صَلُوا عَلَى الْكَوكَبْ ألْوَضَّـاحْ مَنّـــوا تَرْبَحْ كُلْ مْسَا وَكُـلْ صْبَـــاحْ
بَسْم الله بدِيتْ وَعَلَى النْبِي صَلِّيتْ وَعَلَى صحَابُو رضِيتْ مجَاورِينْ ألْبِيتْ
طلَبْتَكْ بِإلآه بجَاهْ كُلْ مَـنْ بغِيتْ اطلَقْ سرَاحْنَا ونجِينَا مْنَ ألتَـــــمْرِيتْ
بَسْم الله بدِيتْ وَالصْلاَةْ وَالسْلاَمْ علَى رسُولْ الله سِيدِي مُولْ لَوْجَهْ لَمْلِيحْ
وَالدِينْ الصْحِيحْ اوالعَقْل الرْجِيحْ وَألْلسَانْ الفْصِيحْ مَنْ زِينُو في الَمْدِيحْ

هذا البيت الأخير هو ما جعلني أرجح أن القصيدة من تأليف الشيخ الحاج بلقاسم لأنني وجدت تكرار شبيها به في قصيدة أخرى له بعنوان "البشير النذير السراج المنير" يقول فيها:

صَاحَبْ الوجَهْ لَمْلِيحْ وَاللسَانْ الفَصِيحْ *** والحْدِيثْ الصحِيحْ الشَّفِيعْ البَشِيرْ

بلا شك نرى تشابه الكلمات بوضوح وهو ما يجعلنا نظن أن القصيدة له وهو ما يظنه الكثيرون لكن الحقيقة التي تأكدت منها أن القصيدة كتبت بعده بزمن طويل أي ما بعد تاريخ 1167 هـ الموافق ل 1754 م تاريخ إنشاء قلعة الدار الحمراء المذكورة في القصيدة.

يواصل الإلقاء :

أَكْحَلْ العَنِينْ مَقْرُونْ الحَاجْبِينْ حمَرْ ألخَدِينْ ابيَضْ السِنِينْ مْزَعْفَرْ الْيَدِينْ

مَنْ سُلاَلَةْ بَنْ هَاشَمْ اَبُو الْبَنِينْ اَبُو ألْبَنَاتْ اَبُـــــو الاِزْوَاجْ الطَّاهِـــرَاتْ

جَدْ الحَسَنْ وَالحُسِينْ نبِيـــنَا كَثْرُواْ بالصْـــلاَة علِـــيهْ

يتوقف فجأة عن الإلقاء ..... وينادي في الناس شُوقْ شُوقْ.....وتصلي الجموع على النبي صلى الله عليه وسلم .

في كل جزء يستأنف صاحب النص رحلته بالصلاة والتسليم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو ما يتناسب مع طبيعة القصيدة وفي الأمر طلب للبركة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومن عادة أهل المنطقة تربية أطفالهم من الصغر على افتتاح أعمالهم بالبسملة ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويعتبرون ذلك وقاية من شرور الحسد، والعين، والجن، وزيادة في البركة، يتحرك وفد الحجاج من قرب ضريح الولي الحاج بلقاسم نحو السور الخارجي المحيط بالقصر اثناء المغادرة يتم ترديد الكلمات الآتية من طرف الجموع المرافقة للحاج المغادر : " الله يَا مُولَنَا بَلِغَ المْقْصُودْ، الله يا مُولاَنَا عَظِيم الجُودْ" وبعد عودته يتم ترديد الكلمات الآتية :" الحَمْدُ لله وَالشُكْرُ لله مَا خَابَ عَبْدٌ قَصَدَ مُولاَه " وتؤدى في حالة من الابتهاج والسرور فرحاً بقدوم الحجاج وعودتهم سالمين غانمين ، وهي جزء من قصيدة للشيخ كتبها في مدح الرسول صلى عليه وسلم يقول فيها :

الحَمْدُ لله وَالشُكْرُ لله مَا خَابَ عَبْدٌ قَصَدَ مُولاَه ** صَلِي وَسَلَم يَا مِنْ هو عَزَمْ عَلَى بَنْ هَاشَم قُرْشِي مُحَمَد

كما تسمع زغاريد النسوة المرافقات للنساء المغادرات للحج في احتشام بعيدا عن الرجال ، بين الفينة والأخرى يتم الضرب على طبل كبير يحمله شخصان وثالث يتولى عملية الضرب

بعقال و يكون شاباً قوياً، لأن الضرب يتطلب قوة حتى يسمع دويه في القصر كاملا وفي القصور المجاورة ، وعادة ضرب الطبل مرتبطة بتحرك قافلة الحج أثناء القدوم أو المغادرة فكلما بلغوا منطقة عمرانية دق الطبل من بعيد حتى يعلم الجميع بمقدم الحجاج، يواصل الإلقاء :

اعزَمْ يَامَنْ تَعْزَمْ صَفِي نَيْتَكْ وَامْشِي اتْرَكْ عَنَك لَقْرِيبْ أولَبْعِيدْ لاَ تَخَمَمْ شِي

وَانْدَه بسِيدِي سَعِيدْ لَمْبَارَكْ الحَبْشِي مُولَانَا يهَونْ عَلِينَا وَعلِيكُم زِيَارَة القُرْشِي[29]

وَانَا غَدِي نزُورْ النبِي قبَل مَا نَهْرَمْ وَنْشِيبْ وَعلِيهْ سَبَلْت عُمْرِي يهَوَن كُلْ صعِيبْ

يَا نَفْسِي لاَ تَقْنَطِي فَرَج الله قَرِيبْ قَادَرْ مُولاَنَا يبَلَغْ الزَايَرْ ويَرَدْ كُلْ غَرِيبْ

وَأَنَا غَادِي نزُورْ النَبِي انشَاءْ الله هَدَا العَامْ الزَادْ وَالرحِيـــــل وَاشْيَاخْنَا قُـــــدَامْ

إِلَى رَادْ الله الوَاحدْ القَهَّارْ بقَواْ عَلَى خِيرْ يَا لَحْبَابْ وَادْعُو لنَا بَالسَلاَمْ

قُمْ يَا دَاكْ لَمْغَرَبْ قُمْ اتْبَع رَكب مَالَك[30] ونفَقْ مَن حُبْ النبِي هُوَ رَبْحَك أو رَاسْ مَالَكْ

إِلاَ مَا زَرْت النبِي بَاشْ تطِيبْ أَفْعَالَكْ لَا خَيرْ فِي صَحْتَكْ وَلَا بَرَكَة فِي مَالَكْ

بِيَدِي نَمْسَكْ لَعْلاَمْ وَنْشُوقْ عَلَى سِيدْ اسْيَادِي هَدَاكْ الهَادِي

لاَشَجَر مَتْنَعْمِا لاَغَرْس لَا وَادِي غَيرْ لجَمَالْ وَالرجَالْ مَتْحَزْمِينْ لِكْ يَالْمُصْطَفَى الْهَادِي

نَضْرَبْ ألطَبَلْ بَالْعْقَالْ وَاتْخَلْخَلْ مَنْ الشُوقْ أُونَشْرَبْ حلِيبْ النُوقْ وَنْزُورْ سِيدْنَا مُحَمَد المِخْلُوقْ

يحث الكاتب على ضرورة أداء فرض الحج لأنه من أركان الإسلام واجب على كل مؤمن قادر، رغبة واشتياقا لزيارة الحبيب المصطفى، واستعمل لذلك أساليب الترغيب والترهيب، فلا المال ينفع ولا الصحة ما لم تكن الغاية منهما بلوغ بيت الله وزيارة الكعبة و المصطفي صلى الله وسلم إذ يقول :

إِلاَ مَا زَرْت النبِي بَاشْ تطِيبْ أَفْعَالَكْ لَا خَيرْ فِي صَحْتَكْ وَلَا بَرَكَة فِي مَالَكْ

ثم ينتقل إلى وصف أهوال الرحلة ومصاعبها بقطع الفيافي والوديان القاحلة والتوكل على الله هو الزاد بعد استنفاذ الأسباب والشوق إلى النبي صلى الله عليه وسلم هو أهم دافع، وكان الركب يضم أناس من مراتب وأصناف يتقدمهم الشيوخ العلماء، وهم السند في التوجيه

والقيادة والإفتاء ولهم خبرة الطريق، فتعين شيخ الركب لا يكون بالوراثة فقط بل يشترط فيه العلم والعقل الراجح والقدرة على التدبير، يواصل الكاتب بقوله:

لَوْلَاكْ يَالمِصْطَفَى لَوْلَاكْ وَالبِيتْ وَاضْوَاهَا لَهْلَا يَورِينَا يِهُودِيَا أولا يَشَرَبْنَا مَاهَا

أَوْلَادْنَا يَارَسُول الله في الغَرْب[31] خَلِينَاهُم مَالْنَا وَارْقَابْنَا يَالمِصْطَفَى جَبْنَاهُم

سَفَرْنَا فَالبَحُورْ وَاتـهَيْجَتْ الاَمْوَاجْ اسْكَنَّا رِيحْ الاَخْلُـــوعْ وَايَسْنَا مَنْ لَحْجَـــاجْ

اوْقَفْنَا عَلَى اَلمدِينَة وَابيَضَتْ الاَبْرَاجْ قُلْنَا هَدَا سَكَنْ الاَسْكَنْدَرِيَة مَن دُرِيَة الحَجَاجْ

ادْخَلْنَاكْ يَا مَصَرْ بِينْ الظُهرْ وَالعَصَر فِيهَا أَوْلَادْ سِيدْنَا عَلِي سِيدْنَا لَحْسَنْ وَالْحُسِينْ

يَا سَعْد مَنْ زَارْ نَبِينَا أُو زَارْهَم هُمَا لَاثْنِينْ

ارْفَدْنَا مَنْ دَارْ البَرْكَ خَلفْنَا بَحْر النِيلْ وَاحُمَالْنَا امَبَارِكِينْ نَصَبْرُوا نسَهْرُوا اللِيلْ

هنا يحدث تغير مفاجئ في الرحلة بركوب البحر ويصف لنا الكاتب أمراً عظيماً، إذ واجه الركب عاصفة في البحر حتى ظنُّوا أَنَّ الهلاك محتوم، ثم بلغوا أبراج مدينة الإسكندرية، ليستعيد الحجاج بعضا من عافيتهم، ويرتاحون من أهوال الصحراء القاحلة، والبحر الهائج، استعداد لمرحلة جديدة في صحراء شبة الجزيرة العربية، كما نزلوا إلى موضع سماه الكاتب دار البركة وهي موضع مخصص للحجاج وهناك العديد منها في مصر منها بركة الحاج يمر منها الحجاج ذهاباً وإياباً وتقع إلى الشمال من القاهرة وأخذت اسمها من الحجاج لنزولهم بالمكان، وفيها أسواق، وبركة الحبش، والكاتب ذكر شخصا سماه سيدي سعيد الحبشي بقوله :

وَانْدَه بسِيدِي سَعِيدْ لَمْبَارَكْ الحَبْشِي مُولَانَا يهَونْ عَلِينَا وَعلِيكُم زِيَارَة القُرْشِي

والمرجح أن البركة المقصودة هي بركة الحبش لما فيها من ماء وبساتين خضراء يجد فيها الحاج حاجته من الطعام والماء واللباس، تعتبر بركة الحبش أقدم بركة بالقاهرة ذكراً بالتاريخ، وظلت على مدى التاريخ الإسلامي من أهم متنزهات مصر، عرفت هذه البركة بعدة أسماء ففي صدر الإسلام عرفت ببركة المعافر، كما عرفت أيضاً بإسطبل قرة نسبة إلى قرة بن شريك العبسي الذي ولى مصر من سنة 90 هـ إلى سنة 96 هـ . أما اسمها بركة الحبش نسبها إلى الجنان الواقعة قرب البركة وهي منسوبة إلى قتادة بن قيس بن حبشي الصدفي الذي شهد فتح

مصر، والجنان تعرف بالحبش وبه تعرف البِركة، كما عرفت البركة في العصر الفاطمي وما يليه باسم بركة الأشراف،[32] بعد استراحة لأيام بالإسكندرية وزيارة القاهرة، يخرج الركب من مصر بعد أن تزود بحاجاته لينتقل إلى مرحلة جديدة ويدخل في طريق الحج الشامي حيث يلتقي الركب المغربي والشامي في طريق موحدة يقول صاحب الرحلة في ذلك:

وَابْكِي يَا نَفْسِي خَلِي الدمُوعْ تسِيلْ حَتَى تَنْظَـــرْ نَبِينَا تَبْرَا مَن التَعْلِيلْ
ادُخَلْنَا لَلدَارْ الْحَمْرَا مَتْوَكْلِينْ عَلَى الله سَلَكْنَا عَلَى عَجْرُودْ مُرْ أُو مَالحْ مَاهْ
وَلِيَعْـــرِفْ يَقْـــــــــدَرْ يَصْبـــرْ يَشْرَبْ الْمرْ ويَصْبَرْ عَلَى كِيدْ أَعْدَاهْ

يقف الكاتب على محطة أخرى هامة من الطريق ويذكر بركة الدار الحمراء وهي قلعة تقع على الطريق المؤدي الى مكة بعد عبور صحراء سيناء ومرورهم بماء عجرود المر المالح، وأملهم في الله أن يجدوا الماء في الدار الحمراء وإلاَّ هلكوا، و بعد المرور بخليج العقبة تمر القافلة ببرك أقام عليها العثمانيون قلاع لرعاية قوافل الحج وهما قلعتي المعظَّم ثم الدَّار الحمراء التي أنشئت سنة 1167 هجرية 1754 ميلادي على يد أمير الحج عثمان باشا وبجانبها حوض مائي تمَّ إنشاؤه سنة 1168 هجري 1755 ميلادي مساحته ستون مترا مربعا وعمقه سبعة أمتار[33].

ويبدو أن الكاتب مر بالقلعة في مرحلة تدهورها لأنهم صبروا على شرب الماء المالح من عجرود ، وفي قول تشارلز داوتي المغامر الانجليزي تصور مشابه لما مر بها سنة 1877 ميلادي بعد وصوله مع القافلة الى قلعة الدار الحمراء وصفها بالقلعة الخربة والمهجورة ، والقافلة لم تجد الماء في بركة المعظم السابقة ووجدوه هنا يقول دواتي " في هذا المكان أخيرا بعد مسيرة اكثر من مئة ميل وصلنا إلى الماء وهو حثالة أسنة ومليئة بالحشرات " وأرجح أن صاحب الرحلة مرَّ في هذه الفترة التي أهملت فيها القلعة وأصابها الخراب مع تراجع نفوذ الدولة العثمانية،[34] وفي السابق كان الحجاج يمرون من بيت المقدس جيئة وذهاب لزيارة الحرم المقدسي لكن صاحب الرحلة لم يذكر عنها شئ والتخلي كان بسبب خروجها من حكم الدولة العثمانية وسيطرة الصليبيين عليها.

بلوغ القصد: بعد رحلة شاقة وصل حجاج الشوق الى مقصدهم حينها فرحوا ونسوا أهوال ما مروا به خاصة أن الرحلة من بدايتها الى حين العودة تدوم سنة ونصف وكان الركب يخرج كل سنتين.

مَنْ تَمَ لَبِينَا سِيـــدْنَا رَسُولْ الله يَامَنْ لَا تَنْسَانِي تَرْزَقْنِي حَجَّةأو تَجْمَعْنِي بَأَوْطَانِي
يُومْ جِـينَا مَكَّـــة فَرْحَـــتْ بِنَا * أو فَاحَـــتْ بَالمِسْـــك أو الاَغْـــوَالِي
فِي وَجهنَا لَاحَتْ ابَشْرُوا يَا حَجَاجْ * بِيتْ الله بَالذَنْـــب الفَايَتْ رَاحَـــتْ
كَعْبَةَ يَاكَعْبَـــة الله تَوحَشْنَاكْ * قَلْبِي وَجَـــوَارْحِي كُلْهَا فِي هَـــوَاكْ
مَنْ صَابْ يَاكَعْبَة الله كُلْ يُومْ حدَاكْ * كُلْ نَـــرُوحْ انْطَـــوَفْ الاَقْـــدَامْ
اشْرَبْت مَنْ مَا زَمْزَمْ حَتَى روَى قَلْبِي * وَأَنَا فِي دَاكْ لَمْقَـــامْ سعِيـــدْ
مَن زِينَكْ يَا هَدَا النهَارْ اوْقَفْنَا عَلَى عَرَفَا وَاجْمَعْنَا وَاقفِينْ حجَـــرْ حجَرْ مَن المزْدَلِفَـــة
القَطْنَا مَنُو سَبْعَـــة بَالوَفَا * طَفْت الكَعْبَـــة أُوكَمَلْـــت الحَـــجْ بَالوَقْفَا
ارْقَبْنَا عَلَى جَبَـــل المفْرح * فرَحْ قَلْبِي وَابْكَاتْ الْعِينْ لَخْنِينَا
بَانَتْ لِي قُبَة خَضْرَة وَالنخَلْ زَرْقَا * وَاصْوَارْ لَمدِينـــا فِيهَا الهَاشْمِي
مُحَمَّد نَبِينَا غدًا يَوْمَ القَيَامَة يَشْفَعْ فِينَا نزَلْنَا أونَزْلَتْ الاَرْكَابْ شَعْب الَى كُلْ وَادِي
تَمَ وِينْ دَقِيتْ اَوتَادِي معَ الشَّامِي وَالمِصْرِي وَالبَغْدَادِي
قُلْت اَلحَمْدُ لله الِي كَمَلتْ مُرَادِي وزُرْت المصْطَفَى الهَادِي

1.4تاريخ نظم القصيدة:

اعتبارا بعدم وجود تاريخ للقصيدة ولم استطع تحديد تاريخ نظمها، رغم سعي لربطها ببعض الأحداث المذكورة فيها، الراجح أنها كانت في أواخر العهد العثماني ارتباطا بوصف الكاتب لبركة الدار الحمراء وما بلغته من تدهور وكانت قد تعرضت للإهمال بعد تراجع قوة الخلافة العثمانية، وقد جاء في قول الناظم البيت التالي الدال على وجود عدو يتربص بهم يقول:

وَلِيَعْـــرِفْ يَقْدَرْ يَصْبَرْ * يَشْرَبْ المُرْ ويَصْبَرْ عَلَى كِيدْ أَعْدَاهْ ذكر كلمة عدو وصف

يطلق على الكافر وذكرها ارتباطا ببركة الدار الحمراء ربما هو دلالة على بداية التدخل الأجنبي في المنطقة وخروجها من سيطرة الخلافة العثمانية.

2.4 الدراسة الفنية للقصيدة:

الشعر اداة تواصل لذا يشكل أهم أداة حافظة وناقلة لميراث الأمم الثقافي المحفوظ في الصدور، وينقل من جيل إلى جيل، والقصيدة التي بين أيدينا أنموذج من ميراث الرحلات الادبية التي تناقلتها الأجيال حتى وصلت إلينا، القصيدة كتبت بلغة قريبة من الفصحى ولم يلتزم فيها الكاتب بنظام التفعيلة ولا القافية الموحدة التي تشكل عماد البناء الشعري وتصنف القصيدة في الشعر الشعبي وهو رحلة حجية متنوعة دينية علمية وفيها المغامرة.

3.4 البنية اللغوية:

تتكون القصيدة من 42 بيتا اخترت لها اسم الشُوق، شائعة الإستعمال، مفهومة لبساطة لغتها، ويمكن لكل من يتحدث العربية [35]أن يفهم مضامينها المروضة لتناسبها مع كل الالسن عدا بعض الكلمات التي تحتاج إلى شرح دون أن تحجب من معاني القصيدة الرئيسية شيئا، والكاتب متحكم في الخطاب الشعري العامي إلى حد بعيد، بحكم أن الوصف والترجمته من خلال الشعر أسلوب ادبي معقد في حد ذاته، وقام بعمل مزج بين الوصف والتعليل ونقل الحقائق وكان دقيقا أحياناً وسطحي أحيانا أخرى، و الكاتب رغم أهمية عمله لكن جعلنا نشعر أنه حجب عنا الكثير من الحقائق، و تشعر من حين إلى آخر أن هناك أمور بترت، فلو قارناها برحلات اخرى كأبو سالم العياشي لوجدنا بوناً شاسعا، العياشي يجعلنا نعيش الواقع الموصوف بأدق تفاصيله لأنة كان موجودا بكل توازنه حاضرا في كل صغيرة وكبيرة تحذوه النيّة في عمل ذلك، بينما صاحب القصيدة المدروسة لم يكن قد حضّر نفسه والأمر كان عفوياً، أو لربما تدخلت عوامل الزمن والنسيان وأفقدت الرحلة بعض اجزائها خاصة أنها كانت محفوظة في الصدور ولم تكتب إلاّ في وقت قريب خشية فقدها و المصدر الذي حصلت منه على الرحلة يحفظها بشكل سيء، وحتى النسخة المكتوبة فيها الكثير من الأخطاء الإملائية وكلمات غير مفهومة بلا معنى أسقطت منها بعض الأبيات لإستحالة معرفة معناها ومنها قوله: (

.....ادخلتك باصرب الاحقال..... اغشيم سوق براني.....) ولازلت أحتفظ بالنص لعلي أقف على معنى الابيات حتى تعود لموقعها ومكانها في القصيدة.

4.4 الدلالة اللغوية لبعض المفردات العامية التي تحتاج الى شرح في القصيدة :

المدلول اللغوي لبعض الأفعال في القصيدة :

بديت : بدأت أو انطلقت أو شرعت.

صليت : الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

بغيت : المقصود بها هو ارادة الشي ويقال ابتغى الشيء أي اراده ولا علاقة لها بالبغي أي الجور

صفي نيتك : صدق النية او بمعنى الاخلاص من صفاء ونقاء النفس وحسن الظن بالله.

لاتخمم شي : لاتحمل هما ولا تفكر في شئ

انده : بمعنى اصرخ عاليا وقدم طلبك وتفسر حسب وجودها في الجملة وفي القصيدة بمعنى الالحاح في الدعاء والتوسل الى الله سبحانه من خلال شخص سيدي سعيد الحبشي.

وانا غدي : عقدت العزم على شيء و في القصيدة معناه اني جهزت نفسي للسفر.

تطيب فعالك : تتحسن افعالك وتصبح في مسلك الطاعة وتخرج من درب العصاة

نشوف : ارى ويمكن ان ترد بمعنى ابداء الراي

متحزمين : عقدوا العزم واصلها من شد الحزام في منتصف دلالة عقد النية والجد طلبا للعمل وادراك صعوبة ومشاق الطريق والتضحية من أجل بلوغ الغاية المنشودة.

اتخلخل : فقد التوازن فالطبل من شدة الضرب يتأرجح .

يورينا : يرينا

يشربنا ماها : جاءت في جملة مع كلمة يهودية أي الضنك وضيق العيش و والماء في حال العسرة يكون طعمه مر لمرارة الظرف

خليناهم :تركناهم

جبناهم : اتينا بهم

اتهيجت : هاجت

اسكنا ريح الاخلوع : واجهنا ريحا قوية اثارت فينا الرعب والهلع.

ايسنا من الحجاج : فقدنا امل الوصول الى البيت الحرام لاداء مناسك الحج واعتقدنا باننا اشرفنا على الهلاك تعبيره الاصلي من اليأس.

روى : اصاب من الماء ما يكفيه واطفأ الظمأ وتستعمل في اللغة العربية بلفظة ارتوى.

انعيط : اصرخ بشدة

القطنا : التقطنا

دقيت اوتادي : كناية عن التمسك بالمكان والرغبة في البقاء من خلال تشبيه الامر بدق الاوتاد لنصب الخيمة والوتد هو قطعة حديدية حادة في طرفها يتم غرزها في التربة القاسية لمسك حبال الخيمة تعبير الرغبة في البقاء في مكان ما اعجبك دلالة على التعمير والتمسك به والوتد اذا التصق بالارض صعب انتزاعه وهو كناية عن شدة التعلق بالمكان.

كملت مرادي : استوفيت حاجتي وبلغت مقصدي ويعني الوصول الى زيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

مدلول اللغوي لبعض الاسماء في القصيدة:

احنين ارحيم : عطوف حنون رحيم ويقصد رحمة الله وعطفه سبحانه وتعالى.

تربح : تفوز ومنه الربح عكس الخسارة.

مسا وصباح : المساء والصباح

التمريت : سوء الأحوال وقساوتها.

مول : صاحب الشيء ومالكه .

المليح : المنظر الجميل يقال في العربية مليح الوجه.

الرجيح : يقال راجح العقل من يمتلك قدرة فائقة في اصدار الاحكام الصحيحة والترجيح السليم.

قُدام : من الاقدام والتقدم إلى الامام بلا تردد أو تسويف.

المغرَب : المسافر في غُربته ومنه الغريب المسافر في وطن بعيدا عن قومه

بركة : من البركة والتبرك ووردت بمعنى بِركة الماء.

العقال : ما يربط به البعير او الدابة للحد من حركتها او التقليل منها حتى تمنع من الهروب او الابتعاد كثيرا.

يهودية : تستعمل مجازا لتعبير عن سوء الحال وضيق العيش وقلة الزاد وتستعمل في التعبير عن سوء الظروف بلفظة تيهوديت.

الغرب : يستخدم الحجاج وصف الغرب لكونهم في المشرق وكلمة الغرب تعني بلاد المغرب.

رقابنا : من الرقبة ويقصد بها النفس وتعني التضحية فالرقبة موضع النحر ومنه تزهق النفس وهو تعبير عن شدة الشوق والتضحية.

لحجاج : اسم في توات وقورارة يطلق على أرض الحرمين من الحج .

الضهر : وقت الظهيرة حيث يدخل وقته بعد الزوال بزوال الشمس من كبد السماء وظهور الظل للأشياء.

نشيب : ظهور الشيب دليل على الكبر والوهن وهو ما يزيد من صعوبة ومشاق الرحلة لكن الذي يحركه ويقويه هو الوجد والشوق للحبيب صلى الله عليه وسلم

تمَ : هناك اشارة الى المكان.

حداك : بقربك والجلوس بجنبك

المدلول اللغوي لبعض الحروف في القصيدة:

منوا : منه

هدا : هذا

القيمة التاريخية : مما لاشك فيه أن للقصيدة قيمة تاريخية كبيرة لأ نها تؤرخ لفترة هامة من تاريخ العالم الاسلامي والمغرب عامة وتاريخ توات وقورارة خاصة وبفضلها إستطعت أن أضع تصوراً لمراحل ومناطق عبور حجاج الركب التواتي نحو البقاع المقدسة، أذ كنا نظن في السابق أنهم كانوا يعبرون البحر الأحمر من جهة مصر لكن الحقيقة التي جاءت بها القصيدة أثبتت أن بعد مرحلة

سيناء تلتقي وفود المغرب ومصر والشام على طريق الحج الشامي من منطقة بركة المعظم أو بركة الدار الحمراء، وفي القصيدة تصوير مثير لمغامرات الحجاج ومزاراتهم ومعاناتهم، كما ذكرت بعض الشخصيات التي قد يسهم التعرف عليها في تدقيق التحديد الزمني والجغرافي أكثر ومنها سعيد مبارك الحبشي.

5.خاتمة:

ختاما وبعد جولة طويلة على لسان شاعر مرتحل من أرض الى أخرى، في قصيدة لا تحمل الكثير من القيم اللغوية الدقيقة لكنها قيمة في مادتها التاريخية، ودراسة هذه الرحلة فتحت شهيتي للبحث عن رحلات أخرى والاهتمام بها مهما كانت بساطتها اللغوية خاصة في اطار البحث التاريخي في منطقة جردت وسلبت من تراثها المخطوط المؤرخ لماضيها وقد استنتجت النتائج التالية:

1) تكتسي الرحلات الحجية أهمية تاريخية كبيرة يمكن التوثيق للكثير من الأحداث التاريخية بواسطته.
2) تتنوع الرحلات من خلال أهدافها لكن الحجية منها تجمعها كلها فنجدها دينية علمية سياحية ومغامرتية.
3) تحتوي الرحلات الكثير من الحقائق التي تتطلب جهدا من الباحثين لتحقيقها.
4) تظافر الجهود بين الادباء والمؤرخين لتحقيق التكامل في تدارس هذه المادة.
5) البحث في الرحلات يكتسي طابعا خاصا لتوفره على عنصر التشويق.
6) منطلق الاهتمام بالرحلات الحجية خاصة المكتوبة بالعامية لم تحظ باهتمام الباحثين وقد سبقنا الغربيون من زمن الاستعمار في تعريفنا بالكثير منها.
7) منطقة قورارة خاصة وتوات عامة سلبت دعائم التأريخ لماضيها بسبب سرقة الاستعمار للمخطوطاتها ولم يبق الا ما تحفظه الصدور ولانه المتاح وجب التعامل معه بحذر الباحث الموثق.

6. قائمة المراجع:

[1] . واد جاف يبدأ من منطقة المنيعة وينتهي في قورارة فيه آبار المياه التي حفرها الأعراب ، ورد ذكره في رحلة العياشي قائلا : " وأخذنا على طريق واد ايمكيدن ومعنا رجل من عرب الخنافسة اكتراه أمير الركب يدلهم على الطريق ، ومعاطن المياه كثيرة في هذا الوادي ، قل ما يخلو من منهل ، وماؤه عذب غزير ، ويقول فيه أعراب ذلك البلد : "واد امكيدن ما نعطش فيه *** كل يوم نجي على ما "

ينظر: عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، تح سعد الفاضلي ، سليمان القرشي، دار السويدي ، الإمارات العربية، ط1، 2006، ص 107.

[2] في السابق كان يتحدث اغلب سكان المنطقة الزناتية وهو لسان أمزيغي يتشارك في الكثير من كلمته مع المنطوق البربري في مختلف جهات الوطن، لكن اليوم يزداد انحصار الزناتية بسبب اعتقاد بعض السكان أنها تشكل عائق أمام أبنائهم في التجاوب مع البرامج المدرسية وسبب لرسوبهم.

[3] قد أوردنا تفصيلا في ذلك من خلال رسالة الماجستير التي قمت بإعدادها تحت عنوان " احتفالية المولد النبوي بمنطقة ڤورارة دراسة في الأصول والأبعاد" في التعريف بالمنطقة. وبنيت تصوري بعدما أسندت رأي إلى تصور الأستاذ محمد السالم بن زايد صاحب كتاب "إزلوان نتقورارين" و"معجم الزناتية " وهو مهتم بتراث المنطقة حيث يرى أن أصل كلمة تيقورارين هو تحوير كلمة تيقوراوين أي التجمعات.

[4] يعتبر ابن خلدون في التاريخ الإسلامي رائد الفكر الحضاري من خلال رؤيته ومنهجيته فهو مؤسس علم الاجتماع بدراسته لظواهر مختلفة عن الشعوب العربية الإسلامية ، تاريخها وعلاقتها الاجتماعية وعمرانها الحضاري ونمطها الاقتصادي والسياسي لكن ابن خلدون لم يزر منطقة ڤورارة، ولم يعرف عنها إلا بالرواية بدليل أنه أوردها بتسميات مختلفة تارة باسم كورارة وأخرى باسم تيكورارين ومرة باسم جرارة .

[5] حسن الوزان المعروف بليون الإفريقي هو الحسن بن محمد الوزان الفاسي مؤلف جغرافي من عصر النهضة، ومن أهم من كتبوا عن إفريقيا لذا تعتبر كتاباته من أهم المصادر المعتمدة.

ينظر: الحسن الوزان (ليون الافريقي)، وصف افريقيا ،ج2 ،تج: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 1983، ص ص 5- 26.

[6] هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي المعروف بابن بَطُوطة ولد في مدينة طنجة سنة 703 هجرية

[7]. الحسن الوزان (ليون الافريقي)، وصف افريقيا ،ج2 ، تج: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 1983، ص 133 - 134

[8] الشيخ أبو القاسم بن الحسين الجراري يتصل نسبه بباملوك الذي نزل قورارة في منطقة تحمل أسمه إلى يومنا هذا وهو من نسل الخليفة الثالث سيّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولد الشيخ عام: 925هـ/1518م ببلدة "أوسيف"، تلقى دراسته الأولى بمسقط رأسه على يد والده الحسين وبعدها بدأ رحلة طويلة مرورا بالبيض ثم الى نواحي بلاد فاس التي اشتهرت وذاع صيتها كمنارة علمية ، ونزل بلدة تادلة، ثم عاد لمسقط رأسه لقيادة حركة علمية أحدثت ثورة بالمنطقة خلّف الشيخ آثاراً جليلة وأدعية وقصائد وابتهالات وأذكاراً، أهمها: كتاب "منهج السالكين في التصوف" وقصائد في التوحيد ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، توفى عام: 997هـ/1588م، ودفن بزاويته المشهورة باسمه قرب مدينة تيميمون.

[9] مقابلة شفوية مع الشيخ مبروك ماينو من مواليد 1966 وهو من حفدة الشيخ ومهتم بجمع تراثه امام مسجد اولاد خضير ببشار اجريت المقابلة معه في بيته باولاد خضير ولاية بشار يوم 24 ديسمبر 2012 رفقة السيد محمد موساوي

[10] عمر بن عبد القادر المهداوي التنلاني، الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، مخطوط، خزانة الوليد بن الوليد بقصر باعبدالله، ادرار،ص8.

[11] توفى الشيخ عام: 1036هـ/1626م بقصر "تبلكوزة" من زاوية الدباغ ومن نفس الشجرة تفرع البيت البادرياني لمؤسسه الشيخ محمد عبد الله المشهور بسيدي الحاج الصوفي مؤسس زاوية بادريان، وحسب حفيده الحاج عبد المالك الصوفي ولد بأولاد سعيد عام: 982هـ/1574م وأخذ عن والده الشيخ الجليل أبي أمحمد الجزولي.

[12] ذكره أبو سالم العياشي في رحلته، وقال عنه: أنَّه يوصف بالقطبانية، وأنَّه توفى عام: 1008هـ/(1599م)، وأنَّه أخذ العلم عن سيِّدي محمد بن أبي بكر الودغاغي، وعن سيِّدي موسى والمسعود.

ينظر: ابو سالم العياشي، الرحلة العياشية، تح سعد الفاضلي و سليمان القرشي، دار السويدي، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2006، ص88.

[13] . ابو القاسم سعد الله ' ابحاث واراء في تاريخ الجزائر ' القسم الاول ' الشركة الوطنية للنشر والطباعة ، الجزائر ' 1981 ' ص179

[14] . ينظر ملحق . رسائل من ركب الحجيج التواتي ، استلمتها من السيد الحاج عبد العزيز الشرقي .

[15] نص الرحلة موجود بخزانة آل القاضي ببلدة أولاد سعيد.

[16] قيمة متداولة للعملة حجمه بما يملأ راحة اليد وسمي دورو لشكله الدائري و يمثل قيمة كبيرة

[17] . مخطوط وثيقة تتضمن القواعد المتفق عليها حصلت عليها من عند الحاج عبد العزيز الشرقي بزاوية الحاج بلقاسم

[18] . مخطوط رسالة إلى القائم بأمر فزان يطلب فيها الركب الإعانة التي دأب الركب الحصول عليها من القائم بأمر فزان .

[19] . نص رسالة بعث بها وفد الحجيج لأهل قصر زاوية سيدي الحاج بلقاسم ورد فيها ذكر طرابلس ومدن أخرى.

[20] . شاكر الفحام ، تقديم لرحلة العبدري ، دار سعد الدين للطباعة ، دمشق ، 2005 ، المقدمة ص 1.

[21] ابو راس الناصري ، الدرة الأنيقة في شرح العقيقة، مخطوط ، الجزائر، رقم 3195، ورقة 5.

كما أن القصيدة طبعت بالجزائر العام 1901 وقد نقلها الى العربية الجنرال ونشرها الجنرال "فوربيجي"

Faure-biguet , l'aqiqad'abou otman Said et-Telemsani/texte et trad : Alger, 1901.

[22] له رحلة قام محمد بن شنب بنشر نصها العربي ، ونقلها الى الفرنسية في المجلة الإفريقية العدد 14، 1900، ص ص 259-282. تحت عنوان رحلة من تلمسان إلى مكة.

[23] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 . 1830) ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة 2 ، بيروت ، 1998 ، ص 404

[24] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2004، ص 257.

[25] الأدب الشعبي

[26] يعتقد عامة الناس في المنطقة أن القصيدة للشيخ الحاج بلقاسم بحكم ما ورد فيها من تفاصيل، وأنها ترتبط برحلة الحج أو هي في حد ذاتها رحلة حجية، وهي تتناسب مع أسلوب الشيخ ولغته إذ أن صاحب الرحلة وظف لغة بسيطة قريبة من الفصحى وهو نفس الأسلوب المستخدم في قصائد الشيخ، لكنني وقفت على ذكر معلم وهو الدار الحمراء وهو مركز راحة وتزود بناه العثمانيون سنة 1167 هجرية 1754 ميلادي أي بعد وفاة الشيخ التي كانت سنة 997هـ وهو ما يؤكد أن القصيدة ليست له بل منسوبه له فقط.

[27] . لقب العائلة هو " الداردار" يتوارثون الأمر أبا عن جد ، ويتولون حمل اللواء لكن لا نعلم إن كان الأمر عادة من زمن الركب أو مستحدث بعده.

[28] بني مهلال قصر يبعد عن تيميمون بنحو 4 كيلومترات له تاريخ حافل في المنطقة ويعتقد أن أصل تسميته من وافد اسمه هلال فنسب القصر اليه.

[29] . **القرشي** سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

[30] . الركب المالكي نسبة لمذهب إمام المدينة مالك بن انس

[31] **الغرب** يقصد جهة المغرب بالنسبة للمشرق موضع الحرمين ومقصد الحجاج من الغرب.

[32] محمد الششتاوي، متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني، القاهرة: دار الآفاق العربية، 1999، ط1، ص 91

[33] . المصدر من الموقع الالكتروني http://alorobanews.com/vb/showthread.php?p=352439 بتاريخ 23 مارس 2014 الساعة الثانية بعد الزوال.

[34] المصدر من الموقع الالكتروني http://alorobanews.com/vb/showthread.php?p=352439 يوم 23 مارس 2014 الساعة 1400